فضائح الأشعرية



للشيخ محمد بن عبد الوهاب

وقال أيضاً رحمه الله :

الأولى : يجوزون على الله أن يأمر بكل شيء ، ويفعل كل شيء ، وينزهونه عن حقائق أسمائه وصفاته ، ولا يتم التوحيد إلا به . الثانية : وينهون عن تصديق الرسل فيما أخبروا به ، ويقلدون طواغيتهم فيما يخالف العقل والنقل ، ويقولون : هم أعلم . الثالثة : يفتون بحمل كلام العامي في العقود على شواذ اللغة ، التي لم تخطر بباله ، ويحرفون كلام الله المحكم ، وكلام رسوله الواضح على غير مراده . الرابعة : ويحيلون الجواب ، على من مات أو غاب ، وهو أوغل منهم في الارتياب .

الخامسة : ويدعون كمال العلم والإحاطة ، ويصرحون أنهم لا يفهمون منه كلمة واحدة . السادسة : ويجزمون بصحة الاجماع ، ويكفرون من خالفه ، ويقولون : مذهبنا بخلافه ، وهو أحكم . السابعة : والعلم المفروض عليهم يحرمون طلبه ، وعلومهم التي يدأبون فيها ، خيرها ما حرم عليهم السؤال عنه .

الثامنة : ويتكلمون بما يقتضي الاحاطة بعلم الله وحكمته في خلقه وأمره ، وما ظنوا أنه خلاف الحكمة ، قالوا : لا يفعل لحكمة ، بل لمشيئة ، فإذا رأوا من طواغيتهم خلاف ما أصلوا

لهم من القواعد سلموا لهم ، وقالوا : هم أعلم . التاسعة : ثم يتناقضون ، فيتكلمون في شرعه بالتعليل الباطل ، ويولدون عليه ما شاؤوا .

العاشرة : ويتكلمون في عصمة الأنبياء بما يضحك العاقل ، ويوسعون الكلام فيه ، ويفردونه بالتصنيف ، والنوع الذي انعقد الاجماع على العصمة فيه ــ وهو حظهم ونصيبهم ــ لا يلتفتون إليه ، بل يحرمون الالتفات إليه ، ولو صح كلامهم في الأول فلا تعلق له بهم .

الحادية عشر ، ويقولون : الأصول التي يكفر مخالفها ، هي : التي تعلم بالعقل ، وما لا فهي الشرعيات ؛ وهذا تناقض ؛ فإن الكفر : إنكار السمعيات ، ولا يعرف إلا بها ؛ ومن تدبر هذا عرف أنهم شر من الخوارج ، الذين علقوا الكفر بمخالفة الكتاب ، ولكن غلطوا .

وهؤلاء الذين علقوه بغيره : اتفق السلف على أن قولهم شر من قول الخوارج ، وارتكبوا معه أربع عظائم :

الأولى : رد نصوص الأنبياء . الثانية : رد ما وافقها من العقل . الثالثة: جعل ما خالفها أصولاً للدين . الرابعة : تكفيرهم ، أو تفسيقهم ، أو تخطئتهم من خالفها واتبع الأنبياء ؛ وقد أمرنا أن نتدبر القرآن ، ولا يكون إلا إذا كان بيناً .

فأما إن احتمل معاني ، ولم يبين المراد ، لم يمكن أن يتدبر ، ولهذا تجد من زعمه قد اشتمل كلامهم من الباطل على ما لا يعلمه إلا الله ، بل فيه من الكذب في السمعيات ، نظير ما فيه من الكذب في العقليات، بل منتهى أمرهم إلى القرمطة في السمعيات ، والسفسطة في العقليات ، وهذا منتهى كل مبتدع خالف شيئاً من الكتاب والسنة ، حتى في المسائل العملية ، والقضايا الفقهية .

الثانية عشر ، والتوحيد عندهم : انكار صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، والشرك اثباتها ، ودينهم اتخاذ أكابرهم أرباباً من دون الله .

الثالثة عشر : ويزعمون أنهم ما عظموهم إلّا لأجل الله ، ثم يستخفون به ، ويسبونه مسبة ما سبها إياه أحد من البشر .
الرابعة عشر : ويزعمون أن فعلهم تعظيم وإجلال للأنبياء والصالحين ، وهم بذلك يكذبونهم ، ويكفرونهم ، ويستجهلون من صدقهم وآمن بهم ؛ وهذا ، والذي قبله : من أعجب العجاب !!

وقال في بعض تقاريره : اعلم رحمك الله أن الإيمان الشرعي ، هو الإيمان بالأصول الستة ؛ فمن الإيمان بالله الإيمان بالكتب التي أنزل الله ، والإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله ، ومن الإيمان بهم : معرفة مراد الله في إرسالهم ، كما قال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين

ومنذرين) الآية [البقرة : ٢١٣].

وأما الحكمة الأخرى، فذكرها أيضاً في غير موضع؛ منها قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [النساء : ١٦٢ ـ ١٦٥] فقوله : (مبشرين ومنذرين) وقوله : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) هما حكمة الله في إيجاد الخليقة ، وإليهما ترجع كل حقيقة ، فالواجب على من نصح نفسه : أن يجعل معرفة هذا نصب عينيه.

ومن تفاصيل هذه الجملة : أن الناس اختلفوا في التوحيد ، فجاءت الكتب والرسل ، ففصلوا الخصومة بقوله تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : ٣٦] وقوله تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن : ١٨] فشملت : أصل الأمر ، وأصل النهي ، الذي هو معنى شهادة أن لا إلّه إلّا الله .

الثانية : أن الذين أقروا بالتوحيد ، والبراءة من الشرك ، اختلفوا : هل توجب هذه العداوة والمقاطعة ؟ أوانها كالسرقة والزنا ؟ فحكم الكتاب بينهم بقوله : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) الآية [المجادلة : ٢٢] وقال ﷺ : « إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء إن وليي الله والمؤمنون ».

الثالثة : أن الذين أقروا بأن الشرك أكبر الكبائر ، اختلفوا : هل يقاتل من فعله إذا قال لا إله إلاّ الله؟ فحكم الكتاب بقوله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال : ٣٩] وقوله : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الآية [التوبة : ٥].

الرابعة : اختلفوا في الجماعة والفرقة ؛ فذهب الصحابة ومن تبعهم : إلى وجوب الجماعة وتحريم الفرقة ، ما دام التوحيد والإسلام ؛ لأنه لا إسلام إلا بجماعة ؛ وذهب الخوارج ، والمعتزلة : إلى الفرقة ، وإنكار الجماعة ؛ فحكم الكتاب بقوله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) [آل عمران : ١٠٣] .

الخامسة : اختلفوا في البدع ، هل يستحسن منها ما كان من جنس العبادة ؟ أم كل بدعة ضلالة ؟ فحكم الكتاب بينهم ، بقوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [الأنعام : ١٥٣] وقوله : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » فذكر ﷺ أن ما حدث بعده فليس من الدين ، وأنه ضلالة .

السادسة : أنهم اختلفوا في الكتاب ، هل يجب تعلمه ، واتباعه على الآخرين ؟ لإمكانه ، أم لا يجب ؟ ولا يجوز العمل به لهم ؟ فحكم الكتاب بينهم بالآيات التي لا تحصى ؛

منها قوله : (وقد آتيناك من لدنا ذكراً ، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) [طه : ٩٩ـ ١٠٠] وقوله : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) [الزخرف : ٣٦] وقوله : (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) الآية [طه : ١٢٤].

السابعة : اختلفوا في العالم رفيع المقام في العلم والعبادة ، إذا عمل تابع النص بخلافه ، هل يجوز أم لا ، فقيل : نعم ، من قلد عالماً لقى الله سالماً ؛ فحكم الكتاب بقوله : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) [الأعراف : ٣] وقوله : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية [التوبة: ٣١] وقوله: (يعرفونه كمايعرفون أبناءهم وإن كثيراً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) [البقرة : ١٤٦ ـ ١٤٧] وقوله : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) [البقرة : ٨٩] وقوله : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) الآية [النمل : ١٤] وقوله : (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الآية [الأنعام : ١١٦].

فإذا عرفت هذه الآيات المحكمات ، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم ، من أن طاعة الأحبار والرهبان من دون الله ، عبادة لهم ؛ وعرفت حال كثير من الناس ، وما يأمرون به ، وما يدعون إليه ، وتأملت كلام الله ، تبين لك الهدى من الضلال .